اضطر المثلثين إلى الإعلان أنهم يعبدون إلهاً واحداً يحتوى على ثلاثة ذمة ، يطلقون عليها ( اقانيم ) .

ويهمنا ههنا أن نشير إلى بعض هذه النصوص ، ولا سيما التى وردت في أناجيل النصارى المعتمدة لديهم ، وهى أناجيل متى ، لوقا ، ومرقس ، ويوحنا ، فإن سوق بعض هذه النصوص يخدم موضوعنا من ناحيتين .

**الأولى :** أن مثل هذه النصوص كانت هى الحجة البالغة ، والأدلة الدامغة التى تسلح بها دعاة الوحدانية فى صراعهم مع دعاة الوثنية التثليثية.

**الثانية :** أن الاحتجاج بها أبلغ على دعاة التثليث إذ أنها مقتبسة من الأناجيل التى أقرتها مجامعهم ، وأجمعت على صحتها كنائسهم ، ومن هذه النصوص ما ورد فى إنجيل ( يوحنا ) عن المسيح – عليه السلام – حيث قال فى مناجاة ربه " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (١)

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندى على هذا النص بقوله " فبين عيسى – عليه السلام – أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقى ، وأن عيسى – عليه السلام – رسوله ، وما قال إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى وأن عيسى إنسان وإله ، أو أن عيسى إله مجسم ، ولما كان هذا القول فى خطاب الله فى الدعاء فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه ، وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقى لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيناً البته ، والتوحيد الحقيقى ضد التثليث الحقيقى ، وكون المسيح رسولاً ضد لكونه إلهاً ، لان التمييز بين المرُسل والمُرسَل

---

(١) إنجيل يوحنا ص ١٧ – ف ٣ .

ضرورى (١) فهذا النص إذن قطعى الدلالة على أن عيسى – عليه السلام – ما دعى إلا إلى التوحيد ، وما ادّعى لنفسه إلا الرسالة ، ومن هذه النصوص أيضا ما ورد على لسان المسيح – عليه السلام – فى إجابة بعض الكتبة من اليهود ، وقد سأله " أية وصية هى أول الكل ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فأحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ، ومن كل القدرة ، ومحبة الغريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات ، والذبائح ، فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت الله " (٢)

وكما حرص المسيح – عليه السلام – على أن يؤكد على وحدانية الله تعالى ، حرص كذلك على أن ينفى عن نفسه العلم بما لا يعلم إلا الله – عز وجل – ، فعندما سئل عن قيام الساعة أجاب قائلاً " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الإبن إلا الآب "(٣)

ففى هذا النص ينفى المسيح – عليه السلام – عن نفسه العلم بوقت القيامة ، فأبطل هذا ما يدعيه المثلثون الوثنيون من النصارى من دعوى التثليث والأقنومية ، بل إن من النصوص الإنجيلية ما يدل دلالة قاطعة على حرص المسيح – عليه السلام – وخشيته من أن يرفعه أتباعه إلى فوق مستوى البشرية فعندما دعاه بعض الناس بقوله أيها

---

(١) إظهار الحق / للشيخ رحمة الله الهندى – جـ٣- ص ٧٣٦-٧٣٧ بتحقيق د / محمد أحمد ملكاوى – ط دار الحديث .

(٢) إنجيل مرقس – ص ١٢ – ف ٢٩-٣٤ ، ومتى ص ٢٢- ف ٣٥-٤٥ .

(٣) إنجيل – مرقس – ص ١٢ – ف ٣٢ .

المعلم الصالح ، أجابه المسيح – عليه السلام – قائلا لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله " (١) هذه هي بعض النصوص الإنجيلية التي تدل على أن توحيد الله تعالى ، كان هو لحمة رسالة المسيح – عليه السلام – وسداها وغيرها كثير (٢) وكما أن هناك نصوصاً في العهد الجديد تدعو إلى التوحيد كان ولا يزال في العهد القديم نصوص تدعو إلى نفس المبدأ منها ما جاء في سفر أشعياء " أنا هو الرب وليس غيري ، وليس دوني إلهاً شددتك ولم يعرفني ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ، والذين هم من المغرب أنه ليس غيري ، أنا الرب وليس آخر " (٣) وفي سفر التثنيه لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره فاعلم اليوم وأقبل بقلبك أن الرب هو الله في السماء من فوق وعلى الارض من تحت وليس غيره " (٤) وجاء في سفر أشعياء " إني انا الله وليس غيري إله ، وليس لي شبيه " (٥) وهكذا تشهد هذه النصوص – وعلى الرغم مما اعتراها من تحريف – بأن وحدانية الله تعالى كانت هي الأصل الأصيل والركن الركين في رسالتي موسى وعيسى – عليهما السلام – كغيرهما من رسالات الله – عز وجل – لكن هناك عوامل وظروفاً أطاحت بكثير من الموحدين من النصارى ، ودفعت بهم إلى تخرخضم من الخلافات فمنهم من بقي على توحيده متحدياً أمواج الكفر العاتية ، ومنهم من عصفت به رياح الشرك ، فأمسى مشركاً ، أو حيراناً يريد الجمع بين الشرك والتوحيد ، ولقد كان من أقوى هذه العوامل وأشدها قسوة في مسيرة النصرانية بوجه عام ، ما أنزله الرومان بهم من اضطهادات ، ويبدو لنا ذلك في الحقيقة الثانية

---

(١) إنجيل متى – ص ١٩ – ف ١٦-١٧ .

(٢) يراجع الفصل الثاني من الباب الرابع من المجلد الثالث من كتاب إظهار الحق فقد خصصه الشيخ لإبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام .

(٣) سفر أشعياء – ص ٤٥ – ف ٥-٧ .

(٤) سفر التثنية – ص ٤ – ف ٣٥ – ٤٠ .

(٥) سفر أشعياء – ص ٤٦ – ف ٩ .

## الحقيقة الثانية : أثر الاضطهادات الرومانية فى إشعال الصراع العقدى بين النصارى :

يصرح عيسى – عليه السلام – برسالة الله – عز وجل – لبنى إسرائيل وهم المعرفون بموقفهم من أنبياء الله تعالى ورسله ، بل ومن الله – عز وجل – نفسه ، ولقد سجلت أسفار لعهد القديم التى بأيدى اليهود انفسهم جوانب عديدة لهذا الانحراف ، لسنا الآن فى مجال التعرض لذكرها .

ولم يكن موقف اليهود من عيسى – عليه السلام – بأحسن من مواقفهم ممن سبقه من أنبياء الله تعالى ورسله فقد ادعوا أن عيسى – عليه السلام – قد حملت به أمه من الزنى ، وأنه ليس نبياً ، ولكنه مدَّعى كذاب ، ثم تمادوا فى زعمهم فاعلنوا أنهم قد أغروا الحاكم الرومانى بعيسى حتى حكم عليه بالإعدام ، ثم بعدما أعدم صلب ، وقد فند القرآن الكريم هذه المزاعم وبرّء مريم والمسيح – عليهما السلام – من تلك الافتراءات يقول تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١)

وقد سجلت لنا الأناجيل التى بأيدى النصارى كثيراً من الحوادث التى حاول اليهود خلالها إحراج عيسى – عليه السلام – أو إثارة السلطة الرومانية ضده ، ومنها تلك الحادثة التى خطط لها رؤساء الكهنة والكتبة من اليهود ، جاء فى إنجيل " لوقا " .

---

(١) سورة النساء الآيات : ١٥٥ – ١٥٨

فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه ، فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالإستقامة تتكلم وتعلم ولا تنبل الوجوه ، بل بالحق تعلم طريق الله . أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم . وقال لهم لماذا تجربوننى ؟ أروني ديناراً لمن الصورة والكتابة فأجابوا وقالوا لقيصر ، فقال لهم أعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (١)

وهكذا حاول رؤساء الكهنة من اليهود أن يوقعوا بين المسيح – عليه السلام – وبين نظام الحكم الرومانى ، لكنهم فشلوا فى ذلك ، وتواصلت مؤامرات اليهود ضد المسيح – عليه السلام – ومن آمن به حتى انتهت برفعه ونجاته كما عندنا نحن المسلمين ، ومحاكمته وقتله ثم صلبه كما يعتقد النصارى ، ولم ينته الاضطهاد بتلك النهاية للمسيح – عليه السلام – وإنما تواصل من بعده لأتباعه والمنتمين إلى دعوته .

يقول الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – " اتفقت المصادر شرقية وغربية ودينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويقرون بها أحياناً ويصمدون للمضطهدين مستشهدين احياناً أخرى ، وهم فى كلتا الحالين لاشوكة لهم ولا قوة تحميهم ، وتحمى ديانتهم وكتبهم (٢) وقد يسأل سائل هل اليهود وحدهم كانوا هم صناع الفتنة بين الدولة الرومانية وبين النصارى ؟

الحق انه كانت هناك أسباب أخرى جعلت من الإمبراطورية الرومانية – والتى تبسط سيطرتها الإستعمراية على كثير من بقاع العالم ، ومنها فلسطين ومصر وبلاد الشام – سيفاً مسلطاً على أعناق النصارى ، منها اختلاف الدين بين الدولة الرومانية وأتباع المسيح .

---

(١) إنجيل لوقا – ص ٢١ – ف ٢٠ – ٢٥ .

(٢) محاضرات فى النصرانية / للشيخ محمد أبى زهرة – ص ٣٦ – ط الرئاسة العامة بالسعودية .

وفى هذا يقول الأستاذ / حبيب سعيد " رسخ الاعتقاد فى نفس الرومانى أن مدينته وإمبراطوريته ستبقيان أبد الدهر ، هذه كانت عقيدة الوثنية ، ولكن المسيحى آمن فى قرارة نفسه أن المدينة العظيمة ستدمر ، وأن الإمبراطورية بل العالم كله سيزول ، وآمن بأن المملكة الوحيدة الخالدة هى مملكة المسيح وملكوت الله ، والحق أن الكنيسة الأولى آمنت بأن نهاية العالم قريبة على الابواب ، وذلك لأن التلاميذ الأوّل رأوا المسيح الذى قام من الأموات ، واقتنعوا بأنهم سيرونه فى حياتهم الأرضية مرة ثانية آتيا فى مجد وجلال ليدمر نظام الأشياء الأرضية ، ويدين الأحياء والأموات ، وتوقعوا سقوط مملكة رومية ليقوم على أنقاضها ملكوت الله ، ومن هنا كانت خيانتهم لوطنهم فى عرف الرومان ، ومن هنا كانت كراهيتهم للإمبراطورية الرومانية ، وكانت الدولة فى نظر العالم الوثنى القديم الخير الأسمى ، والمثل الأعلى ، ففى خدمتها والولاء لها تمثلت كل الفضائل الادبية ، لذلك استعار العالم الرومانى عبادة الإمبراطور من بعض العبادات الشرقية القديمة ، وجعلت الوثنية هذه العبادة أسمى مظاهر الإخلاص والولاء ، ففى الإمبراطور الرومانى تجسمت فكرة الدولة ، وكان المذبح الذى أقيم لعبادته رمزاً للقوة الأدبية العليا فى الدولة ، على أن هذه العبادة حسبها المسيحيون وثنية لا يمكن أن تأتلف مع دينهم الجديد ، وذلك لأن أسمى الأشياء فى نظرهم لم يكن قيصر العظيم ، الرفيع الشأن ولا الإمبراطورية الرومانية القاهرة ، ولا الشعب الرومانى النبيل ، بل كان شيئاً آخر "(١) تلك هى أهم الخلافات العقدية بين الدولة الرومانية والجماعات النصرانية ، وهى – كما ترى – أسباب دينية أخذت أشكالاً سياسية ، فالدولة الرومانية ذات الديانة الوثنية أخذت على عاتقها توحيد إمبراطوريتها المترامية الأطراف عن طريق الحفاظ على وحدة الدين القائم أصلاً على عبادة القياصرة ، والاباطرة ، فإذا أقبلت ديانة جديدة تتنافى مبادئها مع تلك العقائد ، فإن فى هذا خطراً يتهدد الدولة الرومانية من أساسها ، وقد دعّم من ذلك التوجس

---

(١) تاريخ المسيحيين / حبيب سعيد – جـ١ – ص ٥٦-٥٧ – ط الكنيسة الأسقفية .

– من الجماعات النصرانية – جهل السلطات الرومانية عما تقوم به تلك الجماعات من عبادات وطقوس .

وفى هذا يقول الأستاذ ( جون لورير ) " كان من الأسباب الأولية لاضطهاد الرومان للمسيحيين أن السلطات الرومانية لم تعرف بالضبط هدف الطقوس والعقائد المسيحية ، ولأنهم رأوا فى عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة ، فهذه العبادة هى الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف ، والغير المتجانسة لا حضارياً ، ولا دينياً، ولا لغوياً ".(١)

ويضيف الدكتور / ( توفيق الطويل ) سبباً اخر فى اضطهاد الرومان للنصارى ، وهو أن الرومان كانوا يكنون بغضاً شديداً لليهود ، وقد اعتبروا النصرانية إمتداداً لليهودية ، أو أنها اليهودية فى مظهر جديد ، وأنها توشك أن تجمع الناس حولها وتدعوهم إلى التعصب ضد الدولة ، ومن ثم كان بداية الاضطهاد لاتباع عيسى – عليه السلام – (٢) وإذا كان النصارى فى منظور الدولة الرومانية امتداداً لليهود – وحسب هذا كافياً لاضطهادهم ، فإن الامر قد اختلف فى دعوة النصارى عنه فى دعوة اليهود ، فمن المعروف أن اليهود – وإن عاشوا فى الدولة الرومانية – إلا أنهم لم ينصهروا فيها اجتماعياً فكانوا يعيشون جماعات منفلقة على نفسها بخلاف الجماعات النصرانية التى كانت تعمل على نشر الدعوة إلى الدين الجديد مما دفع السلطات الرومانية إلى أن ترى فى تلك الديانة ، محاولة للإنقسام ، بل ربما للإنقلاب فى الدولة الرومانية ، فهرعت السلطات الرومانية إلى ما تملك من أسلحة هائلة ، وقوة رهيبة مسخرة كل ذلك للقضاء على أتباع عيسى – عليه السلام – ، ومن اللافت للنظر أن الاهتمام بشأن القضاء على الجماعات النصرانية لم يكن اهتماماً محلياً ، إنما

---

(١) تاريخ الكنيسة / جون لورير – ج ١– ص ٨٩ – ط دار الثقافة .

(٢) الاضطهاد الدينى فى المسيحية – والإسلام / د : توفيق الطويل – ص٣٣ – ط دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .

كان مشروعاً قومياً رومانياً يقوم على الإشراف عليه الإمبراطور نفسه وبالتالي فمن أراد أن يظفر بعطف الإمبراطور ليبقيه على كرسي الحكم، فلابد وأن يتقرب إلى الدولة بالإمعان في التنكيل بكل من ينتمي إلى تلك الدعوة ، أو يجري على لسانه اسم المسيح في جميع أنحاء الدولة الرومانية ، وحتى يستبين القارئ مدى أثر تلك الاضطهادات في مصادر النصارى وعقائدهم – والتي بدأت في فترة مبكرة كانت بوادرها في حياة المسيح نفسه – نطلع القارئ الكريم على أهم تلك الاضطهادات كما سجلتها تواريخ المسيحية .

## (أ) اضطهاد نيرون ٦٤ – ٦٨ م : -

وعن هذا الاضطهاد يقول جون لورمر : " وفي يوليو سنه ٦٤م شب حريق هائل في روما ظل ستة أيام ، ودمر الجزء الأكبر من تلك المدينة الخالدة ، ولم يعرف للآن بالضبط السبب الذي كان وراء ذلك الحريق ، ولكن الإشاعات بدأت تحوم حول الإمبراطور نفسه ، وكان من الطبيعي أن يجعل نيرون من المسيحيين كبشاً للفداء ، لأنهم كانوا مكروهين من الناس ، ولم يكتف بقتلهم فقط ، بل استخدموا وسيلة لتسلية أهل روما ، فأُلبسوا جلود حيوانات وحُبسوا في أقفاص الكلاب المتوحشة ، وفتكت بهم ، وصُلب البعض ليضيئوا حدائق روما ليلاً ، وقد فتح نيرون أبواب حدائقه ليرى الناس كل هذا واختلط هو بينهم في ملابس سائق عربة (١)

## (ب) الإضطهاد في عهد تراجان سنة ١١٢م :

وبعد نيرون خلفه مجموعة من القياصرة من أمثال " دوميتيان "، "إغنا طيوس " ، هادريان ، كلهم ساروا على منهج نيرون في الإمعان في

---

(١) يراجع تاريخ الكنيسة ج١ ص ٩١ ، ويراجع ايضا تاريخ المسيحين / عوض سمعان ص ٥٤-٥٦ .

تعذيب النصارى والتخلص منهم (١) لكن أقسى هؤلاء على النصارى كان الإمبراطور " تراجان " .

" وقد كان تراجان يضارع نيرون فى القسوة والوحشية ، إن لم يكن يزيد عليه ، فقد أوصى عماله بتتبع النصارى ومحاكمتهم والقضاء عليهم ، وأكبر شاهد على هذا ما سجله التاريخ من ذلك الخطاب الذى بعث إليه عامله بلين ، وكان والياً فى آسيا يشرح له فيه كيفية معاملته للنصارى فقال " جربت مع من إتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية، وهو إنى أسألهم فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية ، وثالثة مهدداً بالقتل ، فإذا أصروا أنفذت عقوبة الإعدام فيهم مقتنعاً بأن غلطهم الشنيع ، وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تُزَيَّل بأسماء أصحابها ، فأنكروا أنهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماؤهم أمامهم ، وقدموا الخمور والبخور لتمثال أتيت بهم عمداً مع تماثيل الأرباب ، بل أنهم شتموا المسيح، ويقال إن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيين ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى ، ولكنهم يثبتون بأن جريمتهم فى أنهم إجتمعوا فى بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح ، على أنه إله ، وعلى إنشاد الأناشيد إكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكابهم جريمة ، بل على ألا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يزنوا ، وأن يوفوا بعهدهم ، ورأيت من الضرورى لمعرفة الحقيقة أن أعزب امرأتين ذكر أنهما خادمتا الكنيسة ، بيد أنى لم أقف على شئ سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها " (٢) وهذه الرسالة تبين إلى أى مدى كان عداء هذا الإمبراطور ، وأمرائه للنصارى ، حتى كانوا يقتلون من يشكون مجرد شك فى إنتمائه إلى المسيح ، ثم جاء بعد ذلك الإمبراطور " ديسيوس " فكان على المسيحيين أدهى وأمر . ويذكر ابن البطريق بعض سياسة هذا الإمبراطور فى معاملة المسيحيين

---

(١) المرجع السابق

(٢) تاريخ الكنيسة – جـ ١ – ص ٩٢ .

فيقول " أبعد هذا الإمبراطور كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحي يرشد عنه يأتي به على عجل ، ويقدم إلى هيكل الأوثان ويطلب منه تقديم ذبيحة لآلهتهم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة ، بعد أن يجتهدوا في حمْد" بالترهيب ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته " (١) وفي أواخر القرن الثالث الميلادي ، وبالتحديد في عهد الإمبراطور " قلديانوس " سنه ٢٨٤م فقد صمم الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء القتلى، وقد هدم كنائس المسيحيين ، وأحرق كتبهم المقدسة وأعدمها ، وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب ، وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ (٢) وهكذا ظلت سيوف قياصرة الرومان تضرب أعناق النصارى وسياطهم تلهب أجسادهم ، ونيرانهم تحرقهم وتحرق كتبهم قبلهم حتى مطلع القرن الرابع الميلادي ، وبالتحديد في سنة ٣١٣م ، عندما أصدر قسطنطين الكبير قراره بالتسامح الديني في كل أنحاء الإمبراطورية شرقاً وغرباً ، ووضعت المسيحية على قدم المساواة مع الوثنية كعقيدة شخصية تتبع ضمير الأفراد ، وغدا كل إنسان حراً ليختار ما يشاء من عقيدة وعبادة ، ومنح المسيحيون حرية إقامة فرائض دينهم ، وردت إليهم كنائسهم المصادرة وأموالهم المنهوبة.(٣)

ولا شك أن هذه الفترة الطويلة من تلك الإضطهادات الوحشية كان لها الأثر الأكبر في ضياع الإنجيل المنزل على عيسى – عليه السلام – والذى كان يحتوى على مبادئ الدين الحق ، ولا سيما وأن تلك الإضطهادات كانت لأسباب دينية ذات صفة سياسية ، وأنها كانت تستهدف بالدرجة الأولى الإنجيل باعتبارة المصدر والمورد لتلك العقائد المعادية لعقائد الرومان ، كما أنها كانت تستهدف بعد ذلك رجال الدين وعلماؤه ، وبالتالي اضطر من

---

(١) تاريخ ابن البطريق – نقلا عن محاضرات في النصرانية ص ٣٨-٣٩

(٢) الإضطهاد الديني في المسيحية والإسلام – ص ٣٩ .

(٣) تاريخ المسيحية – جـ ١ – ص ١٤١ .

تحمى من سياط الرومان بالا يمارس شعائر دينه إلا في سرية كاملة ، فيؤدى هذا بلا شك إلى أن يدخل أصحاب الأهواء ما شاءوا ، ويلصقوا ما أرادوا بديانة عيسى – عليه السلام – فإذا تغيرت الأحوال وكفلت الحرية – كما صنع قسطنطين – كان من الحتمى أن يُوحد النزاع ، وأن تتقد نيران الصراع ، وخاصة فى ظل ضياع الكتاب الحق الذى من شأنه أن يقضى بين المتخاصمين ، ويحكم بين المختلفين .

## بداية ظهور الصراع بين الموحدين من النصارى والوثنيين

ما إن أصدر قسطنيطين مرسوم التسامح الدينى ، حتى ظهرت معه كثير من الخلافات فى شأن عيسى – عليه السلام – وهل كان بشراً عادياً أم كان له منزلة فوق منزلة البشر ، وفى هذا يقول " جون لوريمر "

" ومع أن المناقشات اللاهوتية بين الكنائس كانت لها جوانبها الإيجابية ، لكنها أدت إلى العداء ومشاعر المرارة بين قادة الكنائس ، وقد نظر " يوسابيوس " المؤرخ الكنسى إلى ذلك العصر نظرة تشاؤمية ، وكتب فى أواخر ذلك القرن يقول " نتيجة للحرية أصبح الكبرياء والفتور يسودان فى أكل أمورنا ، فأصبحنا نحسد بعضنا بعضاً ، ويعادى أحدنا الآخر ، ويحارب بعضنا بعضاً بأسلحة الكلام ، فالحاكم يهاجم الحاكم ، وينقسم عامة الشعب إلى أحزاب وطوائف ، بينما يملؤهم الرياء الكاذب والتظاهر ، لتغطية حياتهم الشريرة إلى النهاية ، ولكن صراعات أشرس كانت تنتظر الكنيسة فى القرن الرابع " .(١) وهكذا يشهد ذلك المؤرخ النصرانى بأنه ما إن اشتم الناس رائحة الحرية بعد المرسوم القسطنطينى حتى بدت معه نيران متأججة من النزاعات والخلافات كان الكبر والإصرار على الرأى هما السمتين المميزتين له ، وبما أننا فى معرض الحديث عن الصراع العقدى بين النصارى الموحدين ، والذين

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٢ – ص ١٠٢ .

يميلون إلى القول بالوهية المسيح ، وبالتالى إلى التثليث ، فإننا نسلط الضوء على أهم الحركات التى كانت تعتقد بأن المسيح عبد الله ، وليس إلهاً مع الله، وأقوى هذه الحركات ، كما أجمع علماء اللاهوت من النصارى أنفسهم هى الحركة الأريوسية .

## الأريوسية ومبادؤها : -

تنسب هذه الحركة – والتى بدأت فى الظهور والإنتشار فى مطلع القرن الرابع الميلادى – إلى رجل يسمى أريوس . فماذا قالت تواريخ الكنيسة عن هذه الشخصية التى أحدثت تلك الآثار المدوية ، والتى يعتبرها النصارى إحدى الهرطقات والبدع الكبرى فى تاريخ المسيحية ؟

وفى هذا يقول حبيب سعيد " ومنذ أوائل القرن الثالث برزت بقرونها هرطقة أخرى ، كانت على الكنيسة أشد خطراً من سائر الهرطقات وهى الهرطقة الأريوسية (١) وعن اريوس يقول " جون لورمر " " رُسِّم آريوس قساً فى الإسكندرية فى سنة ٣١٠ أو ٣١١ م ، وأوكلت إليه مسئولية الكنيسة فى " بوكاليس " يقال إنه كان إنساناً متقشفاً بسيطاً فى معيشته رقيقاً ، لبقاً فى حديثه ، وكان شخصية محترمة جداً "

ويقول " إيريل كيرنز " " ويجب أن نتذكر أن الكنيسة كان عليها دائما أن تحارب فكر التوحيديين من جهة المسيح ، فالاتجاهات التوحيدية ترجع جذور أفكارها إلى الأريوسية فى عام ٣١٨ ، ٣١٩م ألقى الإسكندر أسقف الإسكندرية عظة على أساقفة كنيسته ، كان عنوانها ( السر العظيم لوحدة الثالوث ) وكان أحد الأساقفة الموجودين هو آريوس . ى كان ناسكاً عالماً ، وواعظاً محبوباً ، وقد هاجم آريوس هذه العظة التى ألقاها الأسقف لأنه اعتقد أنها فشلت فى أن تبرر التميز بين أقانيم الثالوث ، وإذا كان آريوس يحاول أن يتجنب أن يكون إدراك الناس عن الله يشوبه أى شبهة من الإيمان بتعدد الآلهة ، إلا أنه اتخذ موقفاً لا ينصف

---

(١) تاريخ الكنيسة / ٣٥ – ص ٣٩، ٤٠ .

المسيح بالاعتراف بلاهوته الكامل . كانت هذه القضية فى طبيعتها تتعلق بمفهوم الخلاص ، هل يستطيع المسيح أن يخلص البشر لو أنه مجرد نصف إله ، أقل من كونه الله ذاته ، وأنه من جوهر مشابه لجوهر الاب كما قال يوسانيوس ، أو من جوهر مختلف كما قال يوسابيوس (١) ومن هذا يتبين لنا عدة حقائق تاريخية : -

**الأولى** : أن آريوس هذا كان صاحب شخصية تتسم بالأدب والتواضع والرقى الأخلاقى ، وبالتالى فهو ليس من هؤلاء المستكبرين الذين يعرفون الحق ، ثم يصرون على الباطل .

**الثانية** : أنه كان ورعاً زاهداً ، وبالتالى فلم يأت بهذه الدعوة طمعاً فى رئاسة ، أو طلباً لسلطة .

**الثالثة** : أنه كان محبوباً بين الناس للأخلاق السالف ذكرها .

**الرابعة** : أنه رُسم اسقفاً فى حوالى سنة ٣١٠م ، ولم تحدث بينه وبين بابا الإسكندرية صدام إلا فى سنة ٣١٨م ، وفى تلك المحاضرة المشهودة التى ألقاها بابا الإسكندرية معلناً فيها عقيدته فى ألوهية المسيح ، وكان اريوس ظل ثلاثة أعوام فى زمن الإضطهاد من سنة ٣١٠م إلى ٣١٣م وهى السنة التى أصدر فيها قسطنطين مرسوم التسامح الدينى، وخمس سنوات بعدها من سنة ٣١٣م إلى سنة ٣١٨ م يعلم الناس فى كنيسته عقيدته فى المسيح بكل ثقة واطمئنان ، وكان يتلقون تعاليمه بالرضا والتسليم ، وكان العقيدة التى كانت سائدة فى ذاك الوقت بين النصارى من المصريين كانت هى القول بأن المسيح ليس إلهاً ، وإلا فكيف قضى أريوس ثمانى سنوات يعلم الناس فى كنيسته دون معارضة ، أو شكوى لبابا الإسكندرية ؟

---

(١) المسيحية عبر العصور / إريل كيرنز – ترجمة عاطف ما مى برنابا – ص ١٥٣ ط دار نوبار للطباعة .

## عقيدة آريوس فى المسيح – عليه السلام : –

" وطبقاً لرأى آريوس فإن المسيح لابد أن يكون كائناً وسطاً أعظم من الإنسان ، وأقل من الله " (١)

وإذا كانت هذه هى عقيدة آريوس فى المسيح – عليه السلام – فقد جهر بها كما يقول حبيب سعيد " اعلن آريوس جهاراً على الملأ أن المسيح لم يكن إلهاً ، بل هو كائن وسط بين الله والإنسان ، وهو ليس من جوهر الله ، ولم يكن ازلياً ، وقد حبك دعواه فى عبارات خلابة حتى ظن الكثيرون أنه يقول الحق " (٢)

وإذا تأملنا ما نقله هذان المؤرخان المسيحيان ، نرى أن عقيدة آريوس كانت هى العقيدة الصحيحة التى أقرها الإسلام ، فالمسيح من ناحية ليس إلهاً ، وليس بشراً عادياً ، وإنما هو بشر نبى فُضل على غيره من البشر بالرسالة والنبوة ، فهو كغيره من رسل الله – عز وجل – واسطة بين الله وعباده .

## علام اعتمد آريوس فى تقرير هذه العقيدة :-

يجيب عن هذا جون لورمر بقوله " وكما يحدث فى كل جدل لاهوتى يمكن آريوس من دعم موقفه بآيات من الكتاب المقدس (٣) ومعنى هذا أن آريوس كان لديه من النصوص الإنجيلية ما يدعم به موقفه ، وما يدافع من خلاله عن عقيدته من وحدانية الله – عز وجل – ونبوة المسيح – عليه السلام-

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤١ .

(٢) تاريخ المسيحية – جـ ١ – ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤١ .

## هل كان آريوس مبتدعاً لهذه العقيدة : -

يقول صاحب تاريخ الكنيسة " هناك خلفية لنشاط آريوس تعود إلى وقت أورجانوس ( ١٨٥-٢٥٤م) فقد أثار السابليانيون مسالة علاقة المسيح بالآب ، فيما يعرف بالفكر اللاهوتى الملكى ، فقد علّم السابليانيون ( فى روما فى القرن الثالث ) بأن المسيح كان شكلاً أو ظهوراً لله الاب ورداً على موقف السابليانيين ، فإن أحد تلاميذ أورجانوس ويدعى " ديونسيوس " وهو البطريك الرابع عشر للإسكندرية ( ٢٤٦-٢٦٤م ) اتخذ موقفاً متطرفاً قائلاً ، لم يكن ابن الله واحداً من الآب ، بل كائناً آخر مختلفاً عن الآب كاختلاف الكرمة عن الكرام ، والقارب عن صانع القوارب ، الإبن قد خلق ، ومع أن " ديونسيوس " عدل عن موقفه فيما بعد ، إلا أن تاثيره على آريوس لا ينكر ، وهناك معلم آخر اسمه " لوشيان " من أنطاكية كان له تأثير مباشر أقوى على آريوس ، وكان ينادى بأن المسيح مع انه كان له وجود سابق إلا أن وجوده لم يكن من قبل كل الأزل ، ويقول البعض إن " لوشيان " هو الأب الروحى للآريوسية وهكذا فلم يكن آريوس أول لاهوتى يدافع عن وحدانية الله تعالى ، وبشرية المسيح ، وإنما سُبق بهؤلاء العلماء الذين – وإن اختلفت أزمانهم ، وتباينت أماكنهم -، فعاش بعضهم فى الإسكندرية ، وبعضهم فى أنطاكية وغيرهما – إلا أن عقيدة التوحيد هى التى وحدت فكرهم ، وما بقى من الإنجيل الحق كان هو السند والمعتمد لهؤلاء أجمعين .

## بولس الساموساتى ينكر فكرة الإتحاد ويدعو إلى عقيدة التوحيد:

ومن الشخصيات التى كان لها أثرها الفكرى ومنهاجها العقدى فى منتصف القرن الثالث الميلادى " بولس الساموساتى " أسقف أنطاكية ، حيث كان ينكر فكرة إتحاد الله بالمسيح ، ويدعو إلى عقيدة التوحيد ، ويعلن أن عيسى – عليه السلام – بشر ، لكنه فضل بالنبوة والرسالة ، وعنه يقول صاحب " تاريخ الكنيسة " " أختير هذا الرجل أسقفاً

لأنطاكية فى سنة ٢٦٠م ولأنه كان مفضلاً عند الملكة " زنوبيا " ملكة تدمر ، فقد اختارته أيضاً وزيراً للمالية .

ويقول " يوسابيوس " أنه صار غنياً ، وكان يلبس أفخر الثياب ، وبنى لنفسه عرشاً فى الكنيسة ، وكان يقوم بالخدمة كأمير ، وليس كخادم للكنيسة ، وقد حكم عليه بالمرطقة بمجمع أنطاكية سنة ٢٦٨م ، ولكن تأييد الملكة زنوبيا له أبقاه فى مقر الأسقفية ، وما وصل إلينا من تاريخ حياته جاء من جانب واحد ، هو جانب أعدائه حيث حكم عليه بالمرطقة ، وفى سنة ٢٧٢م تمكن الإمبراطور أوريليان من هزيمة الملكة زنوبيا وأسرها ، فتقدم بولس الساموساتى بالتماس إلى الإمبراطور فأبقاه فى مقر الأسقفية ، وأعلن الامبراطور أن البيت يملكه أولئك الذين لهم شركة مع أساقفة المسيحية فى روما ، ويعتبر هذا الحكم فى غاية الأهمية ، فهو يكشف عن أن الحكومة بدأت تعترف بسلطان الكنيسة ، وأن تأثيرها بدأ يكون له إعتباره .

## عقيدة بولس الساموساتى فى المسيح :

يقول الساموساتى أن ناسوت المسيح قد تضاءل فى عقيدة المسيح التى تبناها أوريجانوس ، فهو لم يفكر فى اللوجوس كأقنوم متميز فى اللاهوت ، بل كصفة لله نفسه بواسطتها ألهم الإنسان يسوع المسيح ورفعه ، وقال إن الاتحاد الجوهرى بين شخصين مستحيل ، أما الممكن فهو إتحاد الغرض والإرادة ، وكتب يقول " الطبائع المختلفة والأشخاص المختلفين ، ليس إلا طريقة واحدة للإتحاد هو إتحاد الإرادة ، ولكن الساموساتى كان يعتقد أيضاً أن يسوع كان أكثر من إنسان عادى ، فقد أعطاه الله العقل الإلهى.

وعاش مع الله تماماً بحبه ويتمم إرادته الكاملة فى كل شئ (١)

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٢ –ص ١٠١- ١٠٢ .

ومن هذا النص يتبين لنا ما يلى :

أن بولس الساموساتى هذا كان ينكر تماما فكرة الاتحاد بين الله والمسيح

وأنه كان يرى أن المسيح مجرد إنسان اصطفاه الله – عز وجل – وأعطاه من علمه .

أن إرادة المسيح – عليه السلام – لم تكن تخرج عن إرادة الله تعالى ، فقد كان منفذاً لها .

أنه كان يدعو إلى هذه العقيدة ، ويعلمها فى انطاكية ، وكانت تؤيده فى دعوته تلك الملكة " زنوبيا " فلما تمكن أعداؤها من القضاء عليها حاكموا بولس وحكموا عليه بالهرطقة والكفر .

هـ – أن تاريخ بولس الساموساتى لم ينقل إلا عن طريق أعدائه ، وبالتالى فلم ينصفوا فى عرض دعوته ولا فى بيان أدلته .

وهكذا فلم يكن أريوس هو المنكر الوحيد لألوهية ( عيسى – عليه السلام – المثبت لنبوته ، وإنما كان حلقة وضاءة من حلقات الموحدين الذين ثبتوا على توحيدهم رغم فظاعة الإضطهادات وقسوة الرومان .

## منهج كنيسة الإسكندرية فى التصدى للدعوة الآريوسية :

سبق أن ذكرنا أن اريوس كان أسقفاً فى الإسكندرية ، وأنه قد اعترض على مضمون تلك المحاضرة التى القاها إسكندر رئيس كنيسة الإسكندرية التى كان يعلم فيها أن المسيح إله ، ومتحد مع الله ، وهذا هو السر العظيم المُعنون به محاضرته ، وبانتهاء هذه المحاضرة ، ومعارضة

أريوس لما جاء فيها بدأت تلك الحلقة من حلقات الصراع الضارى بين أريوس الذى رفع راية التوحيد ، وبين بابا الإسكندرية الذى أبى إلا أن يدعى ألوهية المسيح ، ويقاوم دعوة التوحيد وكعادة رجال الكنيسة عندما يفلسون فى مقارعة الحجة بالحجة ، ومقابلة البرهان بالبرهان ، يلجأون إلى عقد المجامع المحلية ، أو المسكونية لإستخراج قرارت العزل والحرمان لمن يخالف هواهم ، ويتحدى مذهبهم ، ولم ينجُ أريوس من هذه الإجراءات الكنسية .

**يقول جون لوريمر** " لما نشر أريوس تعليمه حول الإسكندرية وجذب إليه أتباعاً من داخل الكنيسة اتخذ إسكندر أسقف الإسكندرية خطوات للحد من الحركة ، فدعا مجمع الإسكندرية للإنعقاد فى محاولة لتسوية المشكلة بهدوء ، إلا أن هذا أدى لمزيد من الخلاف ، فقد جمع أريوس رفاقه وأتباعه وتحدى سلطة إسكندر ، وعندما اتسع الجدل نجح الأسقف إسكندر يسانده مائة من قادة الكنيسة فى عزل أريوس وكثيرين من اتباعه ، وبرغم أن أريوس لم يكن منفيا ، إلا أنه سافر إلى قيصرية حيث إستغل مساعدة يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذى تعاطف مع الأريوسية ، وكان ذا نفوذ عظيم فى الكنيسة فى الشرق (١) ومن هذا يتبين أن بابا الإسكندرية قد عجز عن مواجهة الدعوة الأريوسية عندما حاول إقناع أريوس وأتباعه بالعدول عن عقيدتهم ، فلقد كان أريوس من الثبات والإصرار بحيث لا تجدى معه وسائل الكنيسة ترغيباً أو ترهيباً ، ولقد كان أتباعه من القوة والكثرة بمكان ، لكن بابا الإسكندرية لم ييأس فحقد هو ومائة من أتباعه مجمعاً لعزل أريوس من كنيسته ، لكن أريوس لم يعبأ بهذا القرار ، وسعى إلى الالتقاء بأسقف نيقوميدية لاتفاقهما فى العقيدة فيما يتعلق بعلاقة الله بالمسيح .

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ ٣ – ص ٤٢ .

## آريوس يعقد مجمعاً لتأييد مذهبه والرد على القائلين بألوهية المسيح :

وبمساعدة الأسقف يوسابيوس انعقد مجمع فى بيثينية بآسيا الصغرى للموافقة على وجهة نظر آريوس ، ومطالبة الاسقف إسكندر بآن يعدل عن موقفه ، حينئذ رجع اريوس للإسكندرية ، ليشرع فى عمل جديدة بنفسه ، وتم توزيع النشرات ووضع الأغانى العامة لتعليم الشعب ( سواء أدركوا المعنى اللاهوتى ام لا ) وقد كتب آريوس قصيدة شعرية طويلة إسمها تاليا يمتدح فيها أفكاره ، ويقال إن المعركة أصبحت حديث الساعة فى شوارع الإسكندرية (١) .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على قوة موقف آريوس وكثرة رجال الدين الذين كانوا يوافقونه فى عقيدته إلى الحد الذى استطاعوا معه أن يعقدوا مجمعاً للرد على مدعى الوهية المسيح ( عليه السلام ) .

ثم إن فى عودة اريوس إلى الإسكندرية مرة أخرى ونظمهُ قصيدة يعلن فيها عقيدته ، وينشر من خلالها مبادئهُ ، فى ذلك ما يدل على أن عقيدة آريوس لم تكن لها معارضة فى الشارع المصرى ، ولا بين عامة النصارى فى الإسكندرية . الأمر الذى يشير بأن عقيدة التوحيد كانت عقيدة عدد غير قليل إن لم تكن عقيدة السواد الأعظم من النصارى إذ ذاك .

## انتشار الخلاف إلى الحد الذى أفزع الدولة الرومانية :

ولم ينجح أى من المجمعين الذى عقده إسكندر فى تأييد القول بألوهية المسيح ، أو الذى عقده آريوس لدعم عقيدته فى وحدانية الله ،

---

(١) المرجع السابق – ص ٤٣ .

ونبوة المسيح . لم ينجح أي منهما في القضاء على ذلك الصراع بين التوحيد والوثنية ، وإنما أدى إلى اتساع هوته وضراوته ، حتى كاد الأمرُ يصل إلى حد الفتنة والانقسام في الإمبراطورية الرومانية ، الأمر الذي يستدعي تدخلاً سريعاً من الإمبراطور نفسه ، والذي كان يعاني في بداية حكمه من صراعات سياسية ، ونزاع على الملك ( وكان الإمبراطور قسطنطين قد انتصر حديثاً على ليسبتون أخيه المنافس له في الإمبراطورية ، واغتمم عندما علم بوجود خلافات في الكنيسة ، فكتب خطاباً مشتركاً لأريوس وإسكندر ، وأرسله بيد " هوسيوس " أسقف قرطبة ، وهو واحد من أقرب مشيريه في شئون الكنيسة ، ولما كان الإمبراطور غير مقدر تماماً لخطورة الموضوع ، حاول أن يهون من شأنه فكتب قائلاً " إنه بعد أن تقصى بعناية ودقة أصل وأساس هذه الخلافات، وجد أن السبب في الحقيقة شيئ تافه ، ولا يستحق مثل هذا النزاع الشرس ، وأضاف أن المناقشة يجب أن يقصد بها مجرد رياضة عقلية ، وألا تعرض بتسرع في الاجتماعات الشعبية والعامة ، وألا يعهد بها إلى أذن المجتمع بدون تعقل (١) .

ومن الواضح أن قسطنطين لم يكن يعنيه هذا الخلاف ( من الناحية العقدية ) في قليل أو كثير ، وإنما كان كل الذي يعنيه أن يحافظ على وحدة مملكته ، وألا يدع شيئاً مهما كان يتهدد تلك الإمبراطورية بدليل أنه قد أعلن في رسالته التي بعثها إلى كل من إسكندر وأريوس أن الخلاف بينهما يسيرٌ وشكلي ، ولم يكن كذلك أبداً ، وما كان له أن يزول بهذه الرسالة السياسية التي أراد من خلالها قسطنطين أن يرضي جميع الأطراف .

( وقد تنبه هوسيوس المستشار الديني لقسطنطين إلى أن الموقف أخطر بكثير مما ظن الإمبراطور ، وأنه يستدعي خطوات أكثر حسماً من

---

(١) تاريخ الكنيسة – جـ٢ – ص ٤٣، ٤٤ .

مجرد كتابة الرسالة ، واقتنع الملك بضرورة أن يعقد مجمعاً عاماً أو مسكونياً لحسم ذلك الخلاف . (١)

## الصراع العقدى بين التوحيد والتثليث فى مجمع نيقية سنه ٣٢٥م

يبدو مما سبق أن قسطنطين قد اقتنع برأى مستشاريه فى ضرورة عقد هذا المجمع محاولة للقضاء على الخلاف ، وهذا ما قررهُ " جون لورير" فى تاريخه ، لكن القس " منسى حنا " يحاول أن يعطى لكنيسة الإسكندرية أهمية ، فهو يدعى أن قسطنطين قد دعا إلى عقد المجمع بناء على طلب إسكندر بابا الإسكندرية ، فهو يقول " مجمع نيقية يسمى المجمع المسكونى (٢) الأول ، وكان الداعى لانعقاده انتشار بدعة اريوس الهرطوقى، واضطراب الكنيسة ، وانزعاج المؤمنين بسببها . فكتب القديس إلكسندروس بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكونى لفض هذا النزاع ، وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها ، وذهب أوسيوس أسقف قرطبة إلى الملك ، وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين ، وكتب منشوراً يستدعى فيه جميع أساقفة المملكة للإجتماع فى مدينة نيقية فلبى الدعوى حالاً ٣١٨ أسقفاً من كل أقاليم العالم المسيحى (٣)

وإذا كان منسى حنا يدعى أن عدد الحاضرين كان لا يزيد عن ٣١٨ أسقفاً ، فإن غيره من مؤرخى الكنيسة يذكر أن عدد الحاضرين كان يربو على الالفين .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٤ .

(٢) المجامع عند النصارى نوعان : مجامع محلية وهى الخاصة باجتماع رجال الدين فى قطر معين ، ومجامع مسكونية نسبة إلى جميع الأرض المسكونة أى يجب أن يحضره ممثل على الأقل لكل كنيسة .

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية : ص ١٩١ – ط المحبة .

وفى هذا يقول ابن البطريق فى تاريخه " بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة ، فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية واربعون والفان من الأساقفة ، وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان (١)

ولا يخفى أن ادعاء منسى حنا بأن الحاضرين كانوا ٣١٨ أسقفاً لا أكثر من ذلك ، يريد من ورائه أن يوهم القارئ بأن كل الحاضرين كانوا مجمعين على أن المسيح إله ولم يخالف فى ذلك أحد ، أما إذا كان العدد أكثر من الفين ( كما ذكر ابن البطريق ) فإن معنى ذلك أن الذين أقروا بالوهية المسيح كانوا أقل من ربع الحاضرين ، وتكاد مجمع تواريخ المسيحية على أن الذين حضروا مجمع نيقية كانوا أحزاباً وفرقاً كثيرة يأتى فى مقدمتها ثلاثة أحزاب . عنها يقول " إيريل كيرنز " " وفى مجمع نيقية عرضت ثلاثة آراء محددة ، أريوس ويدعمه يوسابيوس أسقف نيقوميدية الذى ينبغى التمييز بينه وبين يوسابيوس " القيصرى " ومعهم أقلية من الحاضرين كانوا جميعاً يصرون على أن المسيح كان من جوهر مغاير لجوهر الآب ، وأنه بسبب فضائل حياته وطاعته لمشيئة الله اعتبر إلهاً ، وكان اريوس يؤمن بأن المسيح مخلوق من عدم أقل من الآب ، وخاضع له ، وأنه من جوهر مختلف عن جوهر الآب وأن المسيح ليس مساوياً للآب لا فى الجوهر ، ولا فى الوجود الأزلى ، ولا فى السلطان ، كان المسيح بالنسبة لاريوس إلهياً ولكنه لم يكن إلهاً .

صار إثناسيوس تقريباً ( ٢٩٥-٣٧٣ ) هو المدافع الأساسى عما تبلور ليصبح الرأى القويم ، كان والداه الثريان قد أتاحا له تلقى تعليمه اللاهوتى فى مدرسة الإسكندرية الشهيرة ، ويقدم ( كتابه التجسد ) د. أثناسيوس من جهة عقيدة المسيح ، وقد أصر هذا الشاب الذى كان عمره يزيد قليلاً عن الثلاثين فى مجمع نيقية على أن المسيح موجود قبل كل الدهور مع الآب ، وهو من نفس جوهر الآب ، وذلك بالرغم من كونه

---

(١) محاضرات فى النصرانية : ص ١٥٢ – ط الرئاسة العامة بالسعودية .

اقنوماً له شخصيته المتميزة عن الآب ، لقد أصر على هذه الأشياء لأنه كان يؤمن أنه لو كان المسيح أقل مما وصفه لما استطاع أن يكون مخلص البشر ، كانت قضية خلاص الإنسان الأبدى مرتبطة بالعلاقة ما بين الآب والإبن كما رآها أثناسيوس ، لقد نادى متمسكاً بأن المسيح مساوٍ للآب وأزلى ومساو له فى الجوهر ، وقد عانى أثناسيوس بسبب هذه الآراء إذ نفى خمس مرات.أما الحزب الأكبر فى مجمع نيقية فقد كان يقوده العالم الوديع مؤرخ الكنيسة يورسابيوس القيصرى الذى دفعه بغضه للجدل والنزاع إلى تقديم رأى كان يرجو أن يكون مقبولاً ، دمج فيه أفضل الآراء من كلا المعسكرين معكسر أريوس ومعسكر أثناسيوس ، وفى بداية الأمر اتبع أكثر من مائتى شخص من الحاضرين آراء يوسابيوس كان يقول إن المسيح لم يخلق من العدم ، كما كان يقول أريوس ، لكنه مولود من الآب قبل كل الدهور أى قبل بداية الزمن فى الأزل ، كان المسيح من طبيعة أو جوهر مشابه لجوهر الآب ، أصبحت عقيدة يوسابيوس القيصرى هى الأساس الذى تم عليه صياغة قانون الإيمان الذى خرج عن مجمع نيقيه (١) ويجب أن نوجه نظر القارئ الكريم إلى ما قرره هذا المؤرخ المسيحى من أن إثناسيوس قد تربى وتعلم فى مدرسة الإسكندرية ، والتى كان لها الأثر الأكبر فى اتجاهه نحو الدفاع عن عقيدة ألوهية المسيح ، كما أنه قد بنى تلك العقيدة على أساس أن مخلص البشرية لابد وأن يكون إلهاً ، ثم إن فى تقرير ذلك المؤرخ بأن إثناسيوس قد نُفى ( بسبب عقيدته خمس مرات ) ما يدل على أن قوله بالوهية المسيح كان مستغرباً ، ولم يكن له واقع بين جمهور النصارى ، وفى الحقيقة لا أستطيع أن افهم موقف " يوسابيوس " الذى حاول التوفيق بين عقيدة أريوس وعقيدة " إثناسيوس " إذ كيف يوفق بين كون المسيح إلهاً ، وكونه بشراً ؟ لكن يبدو أن " يوسابيوس " كان مدفوعاً بدوافع سياسية ، فكان همه الأكبر التوفيق بين الآراء فى الظاهر ، وإن تناقضت فى حقيقتها ومضمونها .

---

(١) المسيحية عبر العصور : ص ١٥٤- ١٥٥ .

وتذكر تواريخ الكنيسة أن قسطنطين الإمبراطور الرومانى قد حرص على حضور ذلك المجمع ، واستمع إلى اراء المختلفين ، وقد مال فى النهاية إلى رأى القائلين بالوهية المسيح (١) وأمر بإقرار هذه العقيدة والتوقيع عليها ، وفى هذا يقول " ميخائيل مينا " ثم أمر الملك بحرمان اريوس وفرزه من المؤمنين فحرم سنة (٣٢٥م) ، وكان الذين وقعوا الحرمان ثلاثمائة وثمانيه عشر أسقفا (٢) ، وينبغى أن نشير ههنا إلى نقطتين فى غاية الأهمية ، كان لهما التأثير الأكبر فيما انتهى إليه مجمع نيقية وهما :-

## الأولى : الكراهية الشديدة التى كان يشعر بها قسطنطين تجاه آريوس : -

كان من المفروض أن يقف قسطنطين ( من المحتجين فى نيقية ) موقف الحايد لا موقف المرجح لرأى على رأى ، حيث إنه فى ذاك الوقت لم يكن قد دان بالنصرانية ، فهو صاحب عقيدة وثنية ، لكننا نرى قسطنطين يقف موقف المعارض للآريوسية ، وعن هذا يقول تاريخ الكنيسة " مع ان قسطنطين الذى لم تكن المسألة اللاهوتية واضحة امامه مطلقا ، إلا انه لم يكن يهتم باريوس مطلقاً ، وكان يكتب هكذا إذا اكتشفت رسالة كاتبها اريوس فليكن مصيرها النار ، حتى لا يترك اى ذكرى له مهما كانت ، وإذا قبض على اى شخص يُخفى كتاباً لآريوس ولا يظهره ، ويحرقه على الفور فعقابه الموت ، وتنفذ فيه العقوبة فور ثبوت الجريمة (٣) ولا شك أن هذه الكراهية الشديدة من الإمبراطور قسطنطين لآريوس وأتباعه ليست وليدة مجمع نيقية ، وليست غيرة

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة القبطية : منس يوحنا -ص ١٩٢-١٩٣ ،وتاريخ الكنيسة جـ٣- ص ٤٦ .

(٢) عد اللاهوت / ميخائيل مينا : جـ١ – ص ٣١٥ – ط المحبة سنة ١٩٩٤ .

(٣) تاريخ الكنيسة : جـ٣ – ص ٥٠ .

منه على اللاهوت ( المزعوم للمسيح – عليه السلام ) ولكنها كانت لأن مذهب آريوس الداعى إلى وحدانية الله – يتناقض كل التناقض مع العقائد الوثنية للدولة الرومانية ، وأما القول بالبنوة المسيح والتثليث فهو أقرب ما يكون إلى تلك العقائد إن لم يكن استنساخاً لها .

## الحقيقة الثانية : استغلال الإمبراطور لنفوذه لتدعيم القول بألوهية المسيح .

ولم يقتصر عداء الإمبراطور لآريوس على حد الكراهية والحرمان والطرد ، وإحراق كتبه ، وإنما يصرح بعض المؤرخين المسيحيين بأن كثيراً ممن وقعوا على قرار الوهية المسيح ، وحرمان آريوس لم يفقهوا على أى شئ يوقعون .

يقول جون لوريمر " مع أن نيقية أسفرت عن صورة للوحدة ، إلا أنه كان هناك الكثير من سوء الفهم والمرارة والكثيرون لم يدركوا بالحقيقة الموضوعات اللاهوتية ، وحسب وصف سقراط المؤرخ قال : – إن ما حدث يشبه معركة فى الظلام ، لا أحد يعرف إذا كان أصاب صديقا أم عدواً ، ولم تشعر المجموعة الرئيسية الكبرى بزعامة " يوسابيوس " بالارتياح واشتهروا أخيراً بأنهم شبه اريوسيين .

وهذه الشهادة فى غاية الاهمية والخطورة حيث إنها تدل على أن كثيراً من الحاضرين لم يفهموا على ماذا يوقعون ، إذ غلبت الرهبة من سطوة الإمبراطور والخوف من تنكيله .

ومن ناحية أخرى فقد صرحت بأن أتباع يوسابيوس ، وكانوا أكثر من مائتين (١) قد جنحوا أخيراً إلى رأى اريوس "

---

(١) تاريخ الكنيسة : جـ ٣ – ص ٤٧ .